

المحاضرة السادسة: الكتابة والتأليف (التحرير)

تمهيد:

أثناء عملية الجمع للمادة وقراءتها، يكون الباحث قد ادّخر ملاحظات وأفكاراً، ويكون قد جهّزها في حزم البطاقات، كما قد تتراءى له أفكار وأهداف أخرى لم تكن في الحسبان، وهنا يعقد العزم على إعادة صياغتها، وينتابه إحساس بتجسيد كل ما بدا له كتابةً، وتكون بداية المرور إلى مرحلة التحرير، فماذا تعني عملية التحرير؟ وما هي مراحلها؟.

1_ مفهوم عملية التحرير:

هي عبارة عن تحيين وتفعيل للقدرات الأسلوبية والآليات الحجاجية، التي يمتلكها الباحث من أجل إقناع القارئ.

2_ مراحلها:

يمر الباحث في عملية التأليف أو التحرير بمرحلتين أساسيتين أولهما:

أ_ **عملية التسويد:** هي مرحلة تمهيدية، يختبر فيها الباحث قدراته الأسلوبية وآلياته الحجاجية، وأول ما يفعله الباحث هو استظهار الخطة الأولية، والمعلومات التي دونها على البطاقات في شكل ملخصات أو اقتباسات حرفية، ويهيئ التعليقات والملاحظات، التي يشرح فيها فكرة أو يحلّل نصاً أو يكشف تناقضاً في رأي ويبدأ في الإجراءات التالية:

- قراءة مجموع البطاقات من أجل تمثّل الموضوع في شموليته.
- تحديد مواطن التغيير والإضافة والحذف.
- إعادة صياغة الإشكالية من جديد.
- توسيع الخطة الأولية، بنقل ما استنبطته من أفكار وعناصر جديدة واستبدال ما لا تراه مهماً.
- التأكد من الإلمام بكل العناصر والأفكار والأسئلة التي تبدو بها الإشكالية الجديدة أو المنقحة، وضبط تقسيم الفصول والأبواب.

3_ أهمية مرحلة التسويد للباحث:

- تهيئ له النظرة الإجمالية للبحث، وتساعده على إدراك أبعاده.
- يدرك من خلالها ما هو ناقص، وما هو زائد، ويعمل على إقامة التوازن بين ما يجب أن يستفاض فيه، وما يجب أن يوجز، وكذلك بين ما يجب أن تستعمل فيه المادة، وما تستعمل فيه رأيك، وبين ما يكون فصلاً وما يكون جزءاً.

إنّ هذه المرحلة هي مرحلة امتحان الخطة وانتقالها من مجرد خطة أولية إلى خطة تحرير مفصلة، تثرى بعناصر أخرى يكتشفها الباحث من قراءته أثناء جمع المادة.

4_ بماذا يقوم الباحث في مرحلة التسويد:

• يقوم الباحث بتوزيع الأفكار والنصوص بحسب تسلسلها الخطي، حيث يقتضي النص نصا آخر، والفكرة فكرة ، أخرى بحسب الاشتمال أو التفرع أو التشابه أو التناقض أو الاستنتاج، وفي هذا المستوى لا يكون الباحث في مرحلة كاملة من الوصف والتحليل والمقارنة والاستنتاج، إنما مهمته تتمثل في نقل ما في البطاقات إلى الورق مترابطا، متصلا في ضوء نقاط الخطة.

ملاحظة هامة:

عملية النقل هنا ليست آلية، وإنما تقوم على فهم هذه النصوص وإدراك طبيعتها، مما يسمح بنقل نص بتمامه أو تلخيص نص آخر.

• يقرأ الباحث ما كتب كخطوة ثانية، وينظر في الذي يكتب وفي النصوص التي يعتمدها، فيقف عند كل فكرة وكل رأي وكل نص، ويكتب كل ما تثيره فيه القراءة، من شرح وتحليل واستنتاج، وكل ما يوقظه من رأي تأييدا أو معارضة، ويكون له في الهامش، متنّسح يسهل عليه المهمة.

ملاحظات هامة:

• ينصح في هذا المستوى من الكتابة، أن يقف الباحث أحيانا لمراجعة كل ما كتب، ولا يتوقف عن الكتابة إلا إذا أحس بتعب، ويكتب بكل حرية، لأن هذه المرحلة هي مرحلة التحرر من كل قيد إلا قيد الأمانة العلمية والموضوعية، فيقلّب المادة (النصوص) التي أمامه على كل وجوهها، فيكون مرة لها ومرة عليها، يحاورها ويحدّثها ويسجل كل ما يرد عليه، لأنه يكتب استلهاما بعد أن احتواه جو وتهيأت له مادة ومرّ عليه زمن.

• إذا كان الموضوع تطبيقيا، يحاول الباحث أن يسأل نفسه إلى أي مدى هو متمثل المنهج الذي اختاره؟ وهل أن فهمه وتمثله أضاف إليه جديدا أم لا؟، وهنا على الباحث أن يفرق بين توظيف آليات المنهج وجعلها كهدف في حد ذاته، وبين أن يوظف إجراءات المنهج ليدخل بها إلى النصوص.

بعد الانتهاء من هذه الخطوات في مرحلة التسويد، وبعد كتابة فصل أو الانتهاء من البحث كله يجد الباحث نفسه أمام بحث مشوّه الهيئة، وهو ما نطلق عليه المسوّدة، حيث تبقى ممارستها ضرورية، حتى مع تطور المعلومات، وحتى وإن امتلك الباحث حاسوبا فلا بد أن

يمر على مرحلة القلم والورقة، لأن الحاسوب كثيرا ما يقنع الباحث نظرا لهيئته المتطورة في الإخراج أن بإمكانه التوقف.

ب_ عملية التبييض:

بعد عملية التسويد، يجد الباحث أمامه بحثا مشوش الهيئة، فحذف هنا وآخر هناك وتشطيب، وقد تضيق حاشية بالملاحظات، وهذه الهيئة المشوشة تمنح للباحث مهلة للراحة يجيب فيها عن الأسئلة المطروحة، وعلامات الاستفهام، وحل كل إشكال أو غموض، كما قد يعود إلى المصادر والمراجع ليتأكد من صحة الخبر، أو فهم النص في سياقه، وهي إعادة تنظيم لهذا البحث المشوش الهيئة وإخراجه في شكل منظم مباشرة بعد التنقيح، لأنه لو تركه مدة وعاد إليه صعب عليه أن يتعرف عما قام به، أو يمسك بالسياق الذي تمت فيه المراجعة.

عندما يخرج الباحث بحثه من مرحلة التشويش إلى هيئة بينة وواضحة، سوف تكون أمامه الخطة في آخر صورها، وهي خطة التحرير التي تبدو أكثر تدقيقا وتفصيلا ووضوحا، حيث يتمكن الباحث من تشكيل عناوين فرعية تساعده على التقدم في عملية التحرير، كما تمكنه من العمل بسهولة وأمان.

القواعد العامة لمعالجة الأفكار أثناء التحرير:

- ضرورة الاقتران المنهجي بين المادة (النصوص) وآراء الباحث وتعليقاته وشروحاته التي يختار منها ما يوحى بالقدرة على النقد والتحليل، فيبقى على الأحكام ويحذف كل شرح أو تعليق غير مهم.
- يجب ألا تكون آراء الباحث (تعليقاته)، مجرد إعادة نشر للنصوص والأفكار، بواسطة التلخيص أو التحليل الممل، لأن هذا يؤدي إلى التكرار والرتابة، وخلو البحث من المقارنة وإلى ضعف الاستنتاج.
- يجب أن لا تكون المادة (مجموع النصوص) تجميعا وركاما من المعلومات الواحدة تلو الأخرى دون نقد ولا تحليل أو استنباط أحكام، فتتعدم شخصية الباحث ونكون أمام بحث محشو بالنصوص.
- يجب ألا تطفئ خلفية الباحث المعرفية على المادة، فتبدو النصوص وكأن لا قيمة لها ويحدث تنافر بينها وبين خلفية الباحث.
- يجب أن تتجسد الشروط الأخلاقية في البحث وتلخص في هذه النقاط:
_ لا يبدي الباحث آراءه الشخصية دون تعزيزها بآراء لها قيمتها.

- _ أأ ينأاز لرأى عالم متآصص ويعتبره راهنة لا تقبل الابل والمناقشة.
- _ أأ يعتبر رأى من الآراء آققة؁ لأنه صدر عن الأكثرية.
- _ أأ يعتبر الباحث القياس والمشابهة آققة لا تقبل المناقشة.
- _ أأ يعتبر السكوت عن بعض النتائج والمسلمات آقائ.
- _ أأ يحذف الباحث أى دليل وآة أو نظرية لا تنفق ورأيه أو مذهبه.
- _ الحرص على أأ يقول الباحث كل شيء؁ فليس كل ما يقرأ يكتب.
- _ مراعاة الأمانة في نقل النصوص المقتبسة.